الرسول[١٢٧]. وأصحاب الصفة يذكرون بالصعاليك في الجزيرة. وبحسب الأغاني، فالصعاليك مجموعات من اللصوص، التفت حول قائد من صفوفها، وعاشت على النهب[١٢٨]. وفي الواقع، فبين أتباع الرسول الأولين نجد بعض النماذج القريبة من الصعاليك، مثل عمرو بن أمية الضمري[١٢٩]. ويبدو أن هؤلاء هم الذين يسميهم ابن عباس أصحاب الصُّفة.

ورواية ابن عباس ذاتها تفيد بانتشار النفاق في المدينة. وقد برزت الظاهرة بعد فتح مكة، وماتلاه من معركة حنين. فلقد اغتاظ الأنصار من سلوك الرسول في فتح مكة. ويبدو أنهم تطلعوا إلى تصفية حسابات قديمة مع سكانها. إلا أن الرسول، ومن خلال وساطة أبي سفيان، قد أحبط آمال الأنصار[١٣٠]. والمصادر التقليدية تتحدث باستفاضة عن خيبة أمل الأنصار من معاملة الرسول المميزة تجاه المسلمين الجدد من المكيين في معركة حنين[١٣١]. لقد عاد الأنصار خالي الوفاض من حملة واعدة بالمغانم الكثيرة إلى مكة والطائف. وبالتأكيد، استغل "المنافقون" هذا الحدث ومحاباة الرسول للمكيين من أجل انتقاص أصحابه المخلصين.

إزاء هذه المشاكل المتفاقمة، قرر الرسول غزو القبائل العربية في الصحراء السورية، التي كانت، كما يبدو، الهدف الرئيسي من حملة تبوك. ولو نجحت هذه الحركة البارعة، لكانت غزوة تبوك وفرت لأصحاب الصفة حاجتهم، وعوضت الأنصار عن خيبة أملهم من فتح مكة ووقعة حنين، وأرضت قريش التي خسرت تجارتها في سنوات العداء مع المسلمين.